الثقافة الإسلامية

(٧)

مشروع الوحدة الإسلامية ثقافياً واجتماعياً

الإصدار الثاني

مع إضافات وتصحيح وتنقيح

محمّد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومقالات

ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي

- ٧ -

❊ ❊ ❊

اسم الكتاب: .... مشروع الوحدة الاسلامية ثقافياً واجتماعياً

المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الثانية: .... ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٠م

الكمية .... ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة:...... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

آل عمران: ١٠٣

مشروع الوحدة الإسلامية

الوحدة الإسلامية مشروعنا الثقافي والسياسي والاقتصادي الحاضر والمستقبلي. وهذا المشروع الإسلامي العالمي هو المشروع المؤهل لمواجهة التحديات الحضارية والسياسية والاقتصادية الكبيرة التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم.

وهو في نفس الوقت يحمل بالمقابل، مشروعا للتحدي على مستوى العالم... فهو مشروع مزدوج للتحدي ومواجهة التحدي، غير أن مشروع التحدي الإسلامي، يحمل للبشرية خيرا كثيرا، بعكس المشاريع الغربية في تحدي العالم الإسلامي الذي يحمل للمسلمين بل للعالم خرابا وفسادا حضاريا وثقافيا وتبعية سياسية واقتصادية.

وهذا المشروع يحتاج إلى دراسة كثيرة وتخطيط شامل من قبل المفكرين والعلماء والمثقفين الإسلاميين، وليس خطابا إنشائياً وشعارا، وإنّما هو مشروع عمل ثقافي وسياسي وفقهي واقتصادي واجتماعي وأخلاقي.

الجماعة المؤمنة من منازل رحمة الله

لرحمة الله تعالى منازل في حياة الأمم والأفراد فإذا عرف الناس منازل رحمة الله في حياتهم الاجتماعية طلبوها وسعوا إليها في منازلها.

ومن هذه المنازل التوحيد والإيمان والإخلاص والتقوى والتعاون والتحابب...

ومن هذه المنازل اجتماع المسلمين.

فقد جعل الله تعالى في اجتماع المؤمنين من الرحمة والبركة ما لم يجعلها لحالات الانفراد والتشتت والدعاء الذي ترفعه الجماعة المؤمنة إلى الله تعالى أقرب إلى الاستجابة من الدعاء الذي يرفعه الفرد إلى الله.

وينزل نصر الله على الجماعة المؤمنة أكثر مما ينزل على شتات الافراد.

عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم: «يد الله على الجماعة، والشيطان مع من

خالف الجماعة يركض»[1].

إن يد الله قوة ونور في حياة الناس.

فإذا كانت يد الله على الجماعة كانوا أقوياء ومستبصرين بنور الله لا يضعفون ولا يتيهون.

إن القوة الحاصلة بالجماعة ليست حالة كمية حاصلة من تجمع الأيدي تجمعاً كميّا، وإنما هي حالة كيفية حاصلة من إمداد الله تعالى ورعايته لهم وهدايته إيّاهم، وإغاثته لهم ونصره إياهم، وإنقاذه تعالى لهم من الأزمات والكرب.

إن تجمع المؤمنين يقترن دائما بمعية الله تعالى (يد الله على الجماعة) واختلاف الناس وانفراطهم عن الجماعة المؤمنة يقترن دائما بمعية الشيطان (والشيطان مع من خالف الجماعة).

إن يد الله عاصمة لجماعة المؤمنين، تعصمهم عن الضلال والتيه والضياع، فإذا شذ احدهم عنهم، فقد خرج عن دائرة

(١) ميزان الحكمة ٢: ٦٦ الجماعة.

عصمة الله، فكان من نصيب الشيطان.

عن رسول الله ﷺ «يد الله على الجماعة، فإذا اشتذ الشاذ اختطفه الشيطان، كما يختطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم»[1].

الجماعة الموجهة الراشدة

واقصد بالجماعة الجماعة الهادية الراشدة، على صراط الله المستقيم، على هدى الكتاب والسنّة الشريفة، مثل اجتماع المؤمنين للجهاد، والصلاة، والجمعة، والدعاء، والتشاور، والتزاور، والتعاون، وذكر الله تعالى، والتذكير بسيرة صالح المؤمنين، ومن قبيل الاجتماعات التي يعقدها المؤمنون للاعتراض، والاحتجاج على الظالمين وسلوكهم وظلمهم واستبدادهم. هذه الاجتماعات هي الاجتماعات الهادية الراشدة الموجهة التي تستنزل رحمة الله، وتهبط عندها

---

(١) ميزان الحكمة ٢: ٦٦ الجماعة.

الرحمة من عند الله تعالى.

ولا اقصد بـ(الجماعة) الجماعات الشاذة التي تلتف حول البدع وتشذ عن الصراط المستقيم، وعن الكتاب وسنة رسول الله ﷺ ومن أمر رسول الله ﷺ باتباعهم من بعده، عِدلاً للكتاب، وأمناء على الكتاب والسنة.

ولست اقصد بالجماعة الجماعات الغوغائية غير الموجهة، اتباع كل ناعق، الذين يميلون مع كل ريح، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل.

يقول كميل بن زياد رحمه الله: اخذ علي بن أبي طالب عليه السلام بيدي ذات يوم وأخرجني إلى (الجبانة)[1] وجلس وجلست ثم رفع رأسه إليّ فقال: «يا كميل إحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة، عالم ربّاني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم

---

(١) الجبانة في اصطلاح أهل الكوفة: المقابر.

ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[١].

وفي هذه الكلمة الجماعة الموجهة الراشدة هي الأولى والثانية، وأما الثالثة فهي الجماعة الغوغائية غير الموجهة اتباع كل ناعق، حتى لو كانت كثيرة.

الجماعة الأولى هم أصحاب العلم والمعرفة، الربانيون، الذين آتاهم الله المعرفة والبصيرة.

والجماعة الثانية هم الذين يهتدون بهدى أصحاب المعرفة، ويستنيرون بضوء معرفتهم.

هؤلاء وأولئك جماعات راشدة موجهة.

وأما الطائفة الثالثة فلم يستضيئوا بنور العلم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق من أرباب العلم والمعرفة.

يصفهم الإمام عليه السلام بأوصاف ثلاثة.

فيصفهم أولا بأنهم همج رعاع، وشريحة اجتماعية

---

(١) بحار الأنوار ١: ١٨٨.

غوغائية.

(اتباع كل ناعق) ينقادون لكـل نـداء ونعيـق بسـهولة، مـن غير تردد وتفكيـر وتأمّـل وتوقـف، كمـا يصـنع السـفهاء مـن الناس.

(يميلون مع كـل ريـح) لـيس لهـم وزن فـي ميـزان الآراء والمواقف. وهذه هي الحالة الاجتماعيـة والثقافيـة والسياسـية العائمة، التي تجري مع كل ريح وموج من ذات اليمـين إلـى ذات الشمال.

(لم يستضـيئوا بنـور العلـم) وهـم الجماعـة الأولـى الـذين آتاهم الله تعالى العلم والمعرفة.

(ولم يركنوا إلى ركن وثيق) وهم الجماعـة الثانيـة الـذين يتبعون أصحاب العلم والمعرفة ويركنون ويلجأون إليهم.

هذه الجماعة، هي الجمهور الغوغائي العائم، غير الموجه، وغيـر الراشـد، وهـي ليسـت الجماعـة الراشـدة التـي تسـتنزل رحمة الله تعالى وان كثرت.

سُـأل الإمـام علـيعليه السلام عـن تفسـير (السـنّة) و(البدعـة)

و(الجماعة) و(الفرقة).

فقال: «السنّة والله سنّة محمد صلى الله عليه وآله والبدعة ما فارقها، والجماعة، والله مجامعة أهل الحق، وان قلّوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل وان كثروا»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جماعة أمته فقال: جماعة أمتي أهل الحق وان قلّوا[٢].

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جماعة أمتك؟

قال: «من كان على الحق، وان كانوا عشرة»[٣].

هذه (الجماعة) هي الجماعة الهادية الراشدة والموجهة التي تستنزل رحمة الله تعالى وبركاته.

مشاهد من اجتماع المؤمنين

يستعرض أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشاهد من

---

(١) بحار الأنوار ٢: ٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار ٢: ٢٦٦.

(٣) نفس المصدر.

التاريخ من (الوحدة) و(الفرقة) في أهل الكتب، وفي بني إسماعيل وبني اسحق وبني إسرائيل.

ويذكرنا بما انزل الله تعالى عليهم من بركاته ورحمته يوم كانت أيديهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة... فلما أن تفرقت كلمتهم وتشتت صفهم، وتخالفت قلوبهم اذهب الله عنهم ما انزل عليهم من رحمته وبركاته، وأوكلهم إلى أنفسهم.

يقول عليه السلام: «فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة.

الم يكونوا أربابا في أقطار الارضين وملوكا على رقاب العالمين؟

فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة، وتشتتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحاربين.

فقد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي مقص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين.

فـاعتبروا بحـال ولـد إسـماعيل، وبنـي اسـحق وبنـي إسرائيل عليهم السلام. فما اشد اعتدال الأحوال، واقرب اشتباه الإقبال.

تـأملوا أمـرهم فـي حـال تشـتتهم وتفـرقهم ليـالي كانـت الأكاسرة والقياصرة أربابا لهم يحتـازونهم عـن ريـف الآفـاق وبحر العراق، وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح ومهـافي الـريح ونكد المعاش»[١].

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢. الخطبة القاصعة.

عناصر الوحدة

عناصر الوحدة

الوحـدة (أصـل)، و(فقـه)، و(أخـلاق) و(آليـات علميـة وعملية)، وما لم تجتمع هذه النقاط جميعا في هـذا المشـروع لا يستطيع أن يحقق هذا المشروع الكبيـر علـى وجـه الأرض أهدافه الكبيرة.

وسوف أتحدث إن شاء الله عن هـذه النقـاط الأربعـة فـي مشروع الوحدة بإيجاز واختصار.

١ ـ تأصيل الوحدة

الوحـدة، فـي الإسـلام، فـي المجتمـع الإسـلامي (أصـل) ومعنى الأصل انه أسـاس ومعيـار علمـي وعملـي للتعامـل مـع مواضع الاختلاف العلمي والفكري والسياسي والاقتصادي.

فكلما واجهنا في حياتنا العملية أو السياسية أو الاقتصـادية موضعا من مواضع الخلاف... كان الوحدة أصلا ومنهجـا فـي التعامل مع نقاط الخلاف... وليس معنى ذلك إلغاء الخـلاف،

والرأي والاجتهاد المخالف، فان ذلك أمر غير ممكن وغير صحيح... ولكن لابد من التعامل مع نقاط الخلاف العلمي والعملي والسياسي بين المسلمين بمنهجية علمية وعملية... والوحدة هي هذه المنهجية العلمية والعملية للتعامل مع مواضع الخلاف بين المسلمين.

والقرآن الكريم يقرر هذا الأصل بوضوح في اكثر من موضع.

يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[1].

---

(١) آل عمران: ١٠٣ـ ١٠٥.

﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٢].

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[٣].

والإختلاف (أمر واقع) والوحدة (اصل) ويجب أن نتعامل مع هذا الأمر الواقع بهذا الأصل. نحن عندما نتعامل مع المسائل الخلافية في العقائد والفقه، لا نأخذ فقط الدليل بنظر الاعتبار ونلغي كل أمر آخر. إن المنهج الصحيح أن نأخذ بالأمرين معا، نأخذ بالرأي والدليل والحجة من جانب،

---

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) الإنعام: ١٥٩.

(٣) الشورى: ١٤ـ١٥.

ونأخذ بأصل الوحدة من جانب آخر في طريقة التعامل مع الاختلاف في الرأي والفهم.

الاختلاف حقيقة واقعة لا يمكن نفيها ولا يصح إنكارها. والاختلاف في الرأي والدليل والاجتهاد أمر واقع لا يصح التنازل عنه، لان التنازل عنه تنازل عن الرأي والدليل. والتنازل عن الرأي والدليل لا يصحّ إلا إلى دليل وحجة ورأي قائم على الدليل والحجّة.

ولكن إلى جنب هذا الاختلاف وضع الإسلام (أصلا) في طريقة التعامل مع الاختلاف وهو (اصل الوحدة) وهذه مسألة على درجة كبيرة من الأهمية: كيف نتعامل مع الاختلاف في الرأي. هل يجوز أن يطرد بعضنا بعضا، إذا اختلفنا في الرأي؟ وهل الاختلاف في الرأي (في الفقه والأصول والسياسة) بمعنى التقاطع، والرفض، والطرد، والنفي، أم بمعنى الحوار والتفاهم؟.

٢ ـ فقه الوحدة:

قلنا إن الوحدة (اصل) و(فقه) و(أخلاق) و(آليّات علميّة وعمليّة). وقد تحدثنا عن (أصل الوحدة) وها نحن نتحدث عن (فقه الوحدة).

للوحدة فقه، وهذا الفقه نابع من ذاك الأصل.

فقه الوحدة، تنظيم فقهي لأمر التعايش الفقهي بين المسلمين.

والتعايش الفقهي من ضرورات الحياة الاجتماعية.

فان المجتمعات الإسلامية تجمع بين مذاهب فقهية مختلفة في العبادات والأحوال الشخصية والمدنية والقضاء والعقود، ولا يجتمعون على فقه واحد، وفي فقه أهل البيت عليهم السلام أحكام خاصة بـ (التعايش الفقهي) اذكر منها ثلاث قواعد:

أ ـ قاعدة التقية:

وهي أن يلتزم المسلم الذي يتبع مذهب أهل البيت بأحكام فقه المذاهب السنية في العبادات، فيصلي بصلاتهم،

ويفطر في العيد الذي يفطر سائر المسلمين وان اختلف في تشخيص العيد، إذا تعذر عليه الصيام في ذلك اليوم ثم يقضي ذلك اليوم.

ويلتزم باليوم الذي يعلنونه للوقوف، وإن اختلف رأيه عنهم في تشخيص اليوم الذي يجب الوقوف في عرفة.

والتقية لم تشرع فقط لحالات الخوف من بطش الحكام واضطهادهم وظلمهم وإنما شرعت من اجل توحيد مظاهر العبادة وتأليف القلوب والاحتفاظ بوحدة صيغ العبادة ومظاهرها.

ب ـ قاعدة الإلزام والالتزام:

وهذه قاعدة أخرى في التعايش الفقهي بين المسلمين وخلاصة هذه القاعدة أمران:

١ – الالتزام الفقهي بصحة العقود والمعاملات التي تتم فيما بين أهل المذهب المخالف لمذهب أهل البيت عليهم السلام. فلو صح عندهم الطلاق، صح الزواج من المرأة المطلقة عندهم،

بموجب المذهب الفقهي الذي يذهبون إليه، وان كان هذا الطلاق غير صحيح عندنا، وإذا صح الميراث في بعض مذاهب أهل السنة في بعض الموارد، مما لا يتفق ومذهب أهل البيت عليهم السلام في الفقه... اعتبرنا (الوارث) في ذلك المذهب مالكا لما ورث عندهم، وان لم يكن وارثا بموجب مذهب أهل البيت عليهم السلام، وصح عندنا الشراء منه، وان كان لا يعد مالكا حقيقة عندنا في مذهب أهل البيت عليهم السلام... وهذا هو أحد معنيي قاعدة (الإلزام والالتزام) وهي من أهم قواعد فقه الوحدة.

٢ - الأمر الثاني في هذه القاعدة: إلزام اتباع المذاهب الأخرى بما يصح في مذهبهم في التعامل المشترك بين اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأتباع ذلك المذهب.

فإذا مات شخص من مذهب آخر غير مذهب أهل البيت عليهم السلام وكان الوارث من مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو لا يرثه بموجب مذهب أهل البيت عليهم السلام ويرثه بموجب مذهب المورث... صح للوارث (الشيعي)أن يرث المورث (السني)

بموجب المذهب الفقهي للمورّث... بموجب هذه القاعدة. إذن هذه القاعدة من أهم عناصر (فقه الوحدة)، يصحح التعامل المشترك بين اتباع المذاهب المختلفة ومذهب أهل البيتﷺ وهي قاعدة شريفة جليلة تحقق جوا سليما للتعايش الفقهي بين المسلمين.

إن التعايش الوحدوي والسليم في المجتمع الإسلامي بين المذاهب الإسلامية الفقهية مسألة في غاية الأهمية... فلابد أن يعيش المسلمون بعضهم مع بعض ولهذه المعايشة فقه وأصول وأخلاق. وقاعدة الإلزام والالتزام من تلك القواعد الفقهية التي توفر الجو الفقهي الشرعي للتعامل المشترك في المسائل المختلف فيها بينهم فقهيا في المعاملات والأحكام الشخصية.

ج ـ قاعدة الحصانة والحرمة:

والقاعدة الثالثة في فقه الوحدة (حصانة المسلم) وهي قاعدة شريفة جليلة من قواعد الفقه الإسلامي. وإذا كانت

قاعدة (التقيـة) و(الإلـزام) تخـص فقـه أهـل البيـتعليهم السلام، فـان قاعدة حصانة المسلم وحرمته تعم جميع المذاهب الفقهية في الإسلام. واليك توضيحا إجماليا موجزا لهذه القاعدة.

يمـنح الإسـلام، المسـلم - مـن أي مـذهب مـا لـم يتنّكـر لضرورات الدين أصولا وفروعا - حصانة. ولا يحق لأحد أن ينال منه إلا بحق.

حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة:

يقـول عبـد الله بـن عمـر: رأيـت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطـوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك. ما أعظمـك واعظـم حرمتك. والذي نفس محمد بيده لحرمة المـؤمن اعظـم عنـد الله حرمة منك[1].

واستقبل الإمام الباقرعليه السلام الكعبة وقـال: «الحمـد لله الـذي كرمك وجعلك مثابة للناس وأمنا. والله لحرمة المـؤمن اعظـم

(١) سـنن ابـن ماجـة ٢: ١٢٩٧ ح٣٩٣٢. دار الفكـر تحقيـق محمـد فـؤاد عبدالباقي.

حرمة منك»[١].

حرمة المسلم أعظم الحرمات:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وفضّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها، وشدَّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب»[٢].

كل المسلم على المسلم حرام:

وهذه الحصانة شاملة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذّبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٧١: ٢٣٣ ط٢ ـ ١٩٨٣. دار إحياء التراث ـ بيروت.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٨٨ بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.
(٣) سنن الترمذي ٣: ٢١٨ح١٩٩٢ ط٢ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٣بتحقيق عبدالرحمن عثمان.

وروى احمد في المسند عن رسول الله ﷺ «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1].

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام»[2].

وعن انس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا واكل ذبيحتنا فله مالنا وعليه ما علينا»[3].

وروى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الإسلام دينه، وجعل كلمة الإخلاص حصنا له، فمن استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا واحل ذبيحتنا فهو المسلم له

---

(١) مسند احمد ٢: ٢٧٧ دار صادر ـ بيروت. سنن ابن ماجة٢: ١٢٩٨ح٣٩٣٣.

(٢) مسند احمد ٢: ٣٦٠.

(٣) الخصال للصدوق١٧٨ح٢٣٧. ط. قم ١٤٠٣ تصحيح الشيخ الغفاري. البحار٦٥: ٢٦٩. شرح السير الكبير للسرخسي١: ١٥٥ ط. مصر بتحقيق د. صلاح الدين المنجد.

مالنا، وعليه ما علينا»(١).

الإسلام يحصن الدماء:

عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا اله إلا الله، فإذا قالوا لا اله إلا الله عصموا منّي دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله»(٢).

روى مسلم في الصحيح عن أسامة بن زيد انه قال: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية، فأدركت رجلا فقال لا اله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال

---

(١) نوادر الراوندي: ١٤٠ط ١دار الحديث بقم بتحقيق سعيد عسكري. بحار الأنوار ٦٨: ٢٨٨.

(٢) صحيح البخاري ٢: ١٣١، وصحيح مسلم ١: ٥١ ح٣٢، وسنن أبي داود ٢: ٩٣ ح١٥٥٦، وسنن الترمذي ٥: ٣ ح٢٦٠٦، وسنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٥ ح٣٩٢٧ و ٣٩٢٨، وسنن النسائي ٧: ٧٧، ومسند أحمد بن حنبل ١: ١١ و ١٩، والسنن الكبرى ٨: ١٧٦ و ١٧٧، وأحكام القرآن للجصاص ٣: ٤٠١، وفتح الباري ١٢: ٢٧٥ وفي البعض منها تفاوت يسير في اللفظ.

رسول الله ﷺ: أقال لا اله إلا الله وقتلته. قلت: يا رسول الله: إنما قالها خوفا من السلاح. قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا. فما زال يكرّرها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»[1].

٣ ـ أخلاقية الوحدة:

قلنا أن الوحدة ليست شعارا ولا أمنية وإنّما هو مشروع عمل، وفقه، وأصل، وأخلاق و(آليات علميّة وعمليّة).

ونتحدث الآن عن أخلاقية الوحدة.

للوحدة أخلاقية كما أن للتفرقة والخلاف أخلاقية أخرى.

من أخلاقية الوحدة (الألفة) و(الرفق) و(المداراة) و(العفو) و(المسامحة) و(اتباع الحق) و(التجرّد من العصبية).

وأخلاقية الاختلاف والفرقة (الحسد) و(المشاكسة)

---

(١) صحيح مسلم ١: ٦٧. كنز العمال ١: ٣٠٩. الدر المنثور للسيوطي ٢: ٢٠٢. وانما تمنّى ان يكون قد أسلم يومئذ لان الاسلام يجبّ ما قبله.

و(اللجاج) و(العناد) و(الغضب).

في دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الاستعاذة بالله من أخلاقية الخلاف والفرقة وإليك هذا الدعاء:

«اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبه الحسد، وضعف الصبر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، وإلحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسِنَة الغفلة، وتعاطى الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المأثم، والاستكثار من المعصية، والإقلال من الطاعة، ومباهاة المكثرين، والإزراء على المقلين، وسوء الولاية على من تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، وأن نعضد ظالما، أو نخذل ملهوفا، أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول بغير علم. ونعوذ بك أن ننطوي على غش لأحد، وأن نعجب بأموالنا وأعمالنا، وأن

نمد في آمالنا»[١].

ومن أخلاق الوحدة التجرّد والتحرّر من العصبية والالتزام بالحق، كما أن من أخلاق الخلاف والفرقة (العصبية).

قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من تَعصَّب أو تُعُصِّبَ له، فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه»[٣].

«من تعصّب عصبه الله بعصابة من نار»[٤].

ومن أخلاق المؤمن التحرّر من الانفعال والغضب، والجدال بالباطل.

عن رسول الله ﷺ: «لا يقبل الباطل من صديقه ولا يرد

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦: ١٨٥.
(٢) سنن أبي داوود ٥١٢١.
(٣)الكافي للكليني ٢: ٣٠٧.
(٤) الكافي ٢: ٣٠٨.

الحق على عدوه»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام: «إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه وان نقصه وكرثه، من الباطل وان جرّ إليه فائدة وزاده»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنما المؤمن الذي إذا سخط لم يخرجه سخطه من الحق، والمؤمن إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، والمؤمن الذي إذا قدر لم يتعاط ما ليس له»[٣].

ويقول عليه السلام: «إن من حقيقة الإيمان أن تؤثر الحق وإن ضرّك، على الباطل وان نفعك»[٤].

من أخلاق الفرقة البطش وسوء المعاشرة.

---

(١) بحار الأنوار ١٥: ٨٢.

(٢) كرثه كنصره وضربه: اشتد عليه الغم بحكم الحق فإن الحزن بالحق مسرة لديه. والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم. نهج البلاغة ٢: ٦ ط١ دار الذخائر بقم ١٤١٢ شرح الشيخ محمد عبده.

(٣) بحار الأنوار ٦٨: ٣٥٩.

(٤) بحار الأنوار ٢: ١١٤.

ومن أخلاق الوحدة الألفة والرفق.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أمارة بني أمية كانت بالسيف والعَسْف والجور، وإنّ إمامتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد»(١).

إن للوحدة أخلاقية خاصّة تحضّر الجو الملائم للتعايش والتفاهم بين المسلمين.

وللتعايش بين المسلمين أعراف وأصول أخلاقية لابدّ منها ولا يتحقق من دونها.

ولا يمكن الانفتاح والتعاون والتعاطي والتعامل والتعايش المشترك بين المسلمين من دون هذه الأخلاقية، كما لا يمكن أن يحقق المسلمون الغايات والأهداف الكبيرة لهذا الدين على وجه الأرض، ولا يمكنهم مواجهة التحديات الكبيرة السياسية والثقافية والاقتصادية ما لم يتمكنوا أن يحققوا هذا الجو الذي لا بد منه في التعايش والانفتاح

---

(١) بحار الأنوار ٦٦: ١٧٠.

والتعامل المشترك والتفاهم والتعاون.

التواصل والتعايش بإحسان مع عامة المسلمين:

ولأهل البيت عليهم السلام اهتمام بالغ بهذه النقطة. فلا يرضون لشيعتهم أن يعزلوا أنفسهم عن الوسط العام للأمّة الإسلامية الكبيرة، فهم جزء لا يتجزأ من هذه الأمّة، والاختلاف في الأصول والفروع والانتماء والولاء يجب أن لا يؤدي إلى التقاطع مع سائر المسلمين... فان هذه الأمة بكل اتجاهاتها ومذاهبها أمة واحدة، ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[١]. وتعتبر قوة كبرى على وجه الأرض، وتواجه تحديات كبيرة، ولا تستطيع أن تواجه وتتجاوز هذه التحديات ما لم تواجهها أمة واحدة بموقف واحد، وفي صف واحد.

وقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعيشون معهم وفي

---

(١) الأنبياء: ٩٢.

أوساطهم، ويجتمع إليهم المسلمون من كافة المذاهب والاتجاهات، ويحضرون مجالسهم ويأخذون منهم العلم.

ولو أحصينا أهل العلم الذين أخذوا العلم عن الإمام الباقر والصادقﷺ لوجدناهم أمة كبيرة من أهل العلم، وكانت مجالسهم ومحاضرهم عامرة بفقهاء المسلمين وحملة الحديث النبوي وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد. .

وهذه الحالة يعرفها جيدا من يعرف حديث أئمة أهل البيتعليهم السلام وسيرتهم، وهي تعبّر عن حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الإيجابي السليم مع كل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية. في الوقت الذي كان أهل البيتعليهم السلام يرسمون ويوضحون لشيعتهم وللمسلمين عامّة الخط الفكري الصحيح في الأصول والفروع بوضوح وصراحة وبشكل دقيق ومن غير مجاملة.

أحاديث أهل البيت (ع) في التعايش والتواصل:

وفي أحاديث أهل البيتعليهم السلام دعوة واضحة وصريحة إلى

هـذا الانفتـاح مـع المسـلمين والتعـايش الإيجـابي والتواصـل والتعاطف والتعاون معهم، وإليـك نمـاذج مـن أحاديـث أهـل البيت عليهم السلام في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح فـي الكـافي عن أبي أسامة زيد الشحّام قـال: قـال أبـو عبـد الله عليه السلام: «أقـرا علـى مـن تـرى انـه يطيعنـي مـنهم، ويأخـذ بقـولي السـلام، أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والورع في ديـنكم، والاجتهـاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطـول السـجود، وحسـن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله.

أدوا الأمانـة إلـى مـن ائتمـنكم عليهـا بّـراً أو فـاجرا، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صِلُوا عشـائركم، واشـهدوا جنـائزهم، وعـودوا مرضـاهم، وأدوا حقوقهم، فان الرجل منكم إذا ورع فـي دينـه، وصـدق الحـديث وأدى الأمانـة، وحسـن خلقـه مع النـاس قيـل: هـذا جعفري، فَيسُرّني ذلك ويدخل عليّ منـه السـرور، وقيـل هـذا

أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر.

والله لحدثني أبي عليه السلام إن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي فيكون زينها، ادّاهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسال العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان انه ادّانا للأمانة واصدقنا للحديث»[1].

وأيضا بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله الصادقعليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟

قال: فقالعليه السلام: «تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»[2].

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ٣٩٨ كتاب الحج آداب أحكام العشرة الباب الأول. الحديث الأول.

(٢) المصدر السابق ح٢.

وأيضا بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت له (الصادقعليه السلام): كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على امرنا فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم»[١].

وفي رواية أخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي قال: سمعت أبا عبد الله الصادقعليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، وأُحضروا مع قومكم مساجدهم، واحبّوا للناس ما تحبون لأنفسكم. أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره»[٢].

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبد الله

(١) وسائل الشيعة ٨: ٣٩٩ كتاب الحج آداب أحكام العشرة ب١ح٣.
(٢) المصدر السابق ح٤.

الصادقعليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لابد لكم من الناس، أن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض»[1].

٤ـ آليات الوحدة:

وهذه هي النقطة الرابعة من مكّونات الوحدة.

الوحدة ليست مجرد شعار وخطاب، وإنما هي مشروع عمل فقهي وسياسي واجتماعي، وهو مشروع واسع وكبير، ويحتاج إلى تظافر العقول والجهود. ولهذا المشروع آليات علمية وعملية، ولا يتحقق الوحدة من دون توفير هذه الآليات العلمية والعملية في أجواء التعايش الإسلامي، واليك توضيحا موجزاً عن هاتين الآليتين.

(١) المصدر السابق ح٥.

أ ـ الآليات العلميّة:

١ – البحث عن المساحات العلمية المشتركة بين المسلمين في الأصول والفروع والثقافة العامّة ومصادر التشريع وهي مساحات واسعة في العقائد والفقه والتفسير وعلوم القرآن، وآيات الأحكام والحديث والجرح والتعديل وأصول الفقه، وبسط الكلام فيما اتفق فيه الفريقان الكبيران من المسلمين الشيعة والسنّة.

وقد سعينا أخيرا في مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى تحقيق الكثير من ذلك في (الحديث النبوي المشترك) و(القواعد المشتركة) و(التفسير المقارن) و(الرواة المشتركون في إسناد الروايات) من طريق الشيعة والسنّة، والفقه المقارن، والأصول المقارن... وغير ذلك وكانت ولله الحمد جهود مباركة آتت ثمارها سريعا.

٢ – تسليط الأضواء العلمية على مواضع الخلاف بين المذاهب الإسلامية. فلا يصح تسطيح الخلاف بين المذاهب الإسلامية. ولا يصح تعميق الخلاف بين المذاهب الإسلامية.

وكل منهما خطأ. والصحيح هو تسليط الأضواء العلمية على مواضع الخلاف بين المسلمين في الأصول والفروع بشكل موضوعي وعلمي وهادئ.

ومن عجب أن الدراسة العلمية الموضوعية لمواضع الخلاف بين المذاهب الإسلامية في الفقه والاصولين (أصول العقائد وأصول الفقه) من عوامل التفاهم والتقارن والتعاطي العلمي وليس من عوامل الاختلاف والتنابذ... وقد جربنا كثيرا هذه الحقيقة، وحصل لنا الاطمئنان أن الأبحاث العلمية الموضوعية في مسائل الخلاف من عوامل التقارب، وليس من عوامل التباعد.

ولذلك نجد في تراثنا الفقهي نوعين من الدراسات: الدراسات (الخلافية) و(المقارنة).

فهناك فقه الخلاف مثل موسوعة الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله: كتاب (الخلاف).

وهناك جهدا آخر في الفقه المقارن مثل موسوعة العلاّمة الحلّي رحمه الله: (تذكرة الفقهاء).

وكـــان مـــن اهتمامـــات آيـــة الله المحقّـــق الســـيد البروجردي رحمه الله التأكيد في دروسه الفقهية العالية على (الفقـه المقارن) و(الفقه الخلافي).

٣ – التعاطي العلمي بـين علمـاء المسـلمين مـن المـذاهب الإسلامية المختلفة. لقد كان بين فقهـاء المسـلمين وعلمـائهم تعاطي علمي واسع فـي مواضـع الخـلاف الفكـري والفقهـي والأصولي والعقائدي، فكان يحضر فقهاء من أهل السنة عنـد أئمـة الشـيعة وعلمـائهم، وبـالعكس كـان يحضـر علمـاء مـن الشيعة عند فقهاء وعلماء من أهل السنة.

وقد حضر أبو حنيفة النعمـان (٨٠ – ١٥٠ هــ) عنـد الإمـام الصادق عليه السلام (٨٠ – ١٤٨ هـ) سـنتين. واشـتهر عنـه فـي هـاتين السنتين التي حضرها عند الإمام الصادق عليه السلام: انه كان يقـول، لولا السنتان لهلك النعمان[١]، كما حضر مالك بن أنس (٩٣ –

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية للآلوسي ص ٨.

١٧٩ هـ) في المدينة عند الإمام الصادق عليه السلام وكان الإمام الصادق عليه السلام يوليه اهتماما خاصّا. وفي كتاب مالك المعروف بـ (الموطّأ) أربعون رواية عن أهل البيت عليهم السلام وبعضها عن الإمام الصادق عليه السلام مباشرة.

ويروي ابن عقدة انه كان يروي عن الإمام الصادق عليه السلام أربعة آلاف شيخ[١] كلهم يحدّث عن الصادق عليه السلام ويوجد في رجال الشيخ الطوسي ٣٢٢٣ رجلا من هؤلاء الأربعة آلاف، والكثير منهم من رواة ومحدّثي أهل السنّة.

يقول أحد روّاد التقريب الشيخ واعظ زادة: جمعت ١٢٠٠٠ حديثا لأئمة أهل البيت عليهم السلام من طرق أهل السنة وكتبهم ومصادرهم.

ومن جملة فقهائنا الكبار الشيخ المفيد رحمه الله، كان يحضر عند عدد من كبار علماء وفقهاء أهل السنّة ومنهم أبو ياسر

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ٢٨٩.

مولي أبي الخنيس وعلي بن عيسي الرماني (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ). وقد لقّبه الرماني بـ(المفيد) في قصّة معروفة. وحضر السيد الشريف المرتضى علم الهدى رحمه الله على عدد غفير من علماء وفقهاء أهل السنّة، كما كان يحضر عنده عدد من علماء أهل السنّة.

روى الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي، قال: إنّي أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد[1].

وكثير منهم من رواة أهل السنة.

ولا نريد أن نتوسع في هذا المجال... فمن يقرأ تاريخ الفقه والاصولين يجد هناك تعاطياً واسعاً بين علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلماء المسلمين من سائر المدارس... وهذا التعاطي والتداول العلمي دراسة وتدريساً ورواية من أهم

(١) رجال النجاشي: ٣١ ـ ترجمة الوشاء.

الآليات العلمية التي تؤدي إلى وحدة المسلمين، وقد تحدثنا عن شطر من ذلك في ترجمة الشهيد الثاني رحمه الله في مقدمة كتاب الروضة البهيّة في شرح اللّمعة الدمشقية.

ب ـ الآليات العملية:

أ – **الطاعة**: وهي الآلية العملية الأولى... إن الذي دعانا إلى توحيد الأمة المسلمة، فقد جعل الله هذه الأمة أمة واحد، فقال: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[1]، وجعل (الطاعة) الأداة المفضلة الأقوى لتحقيق هذه الوحدة يقول تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[2].

إن الانفلات عن الطاعة يؤدي إلى التحالف والتنازع بالتأكيد. فان الطاعة هي التي تحفظ تماسك الأمة والموقف والكلمة... وهذه هي المعادلة الأولى ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ**

---

(١) الأنبياء: ٩٢.

(٢) الأنفال: ٤٦.

﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ﴾ والمعادلة الثانية أن التنازع يؤدي إلى تشتت الأمة والكلمة والموقف، وهو يؤدي إلى إفشال الموقف والقرار ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾.

والإفشال يعادل العجز والضعف والخواء وذهاب القوة ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

إن الطاعة هي التي تحفظ وحدة الأمة ووحدة الصف ووحدة الموقف والقرار والكلمة... وهذه الوحدات الخطيرة لا تتحقق من دون الطاعة بالضرورة... ولذلك فقد أعطى الإسلام ل-(الطاعة) قيمة كبيرة، تأتي بعد قيمة (التوحيد والإيمان) مباشرة.

و مبدأ الطاعة هو الله تعالى بالتأكيد... ولا طاعة لأحد من غير أمر الله، و طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله وبأمر الله وإذنه. ولا طاعة لمن لا يأذن الله بطاعته.

فالطاعة إذن من مقولة التوحيد. وهي قضية حقيقية.

وقد أمر الله تعالى بطاعة رسوله وأولياء الأمور من بعد

رسول الله ﷺ جيلا من بعد جيل، دون أن تنقطع حبل الولاية والطاعة من المجتمع ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ﴾[١].

وتكرار الطاعة في الآية الكريمة توحي بأن الطاعة طاعتان، طاعة في التشريع وهي الطاعة الأولى وهي لله حتى إذا كان من خلال تبليغ رسول الله ﷺ وطاعة ثانية لأولياء الأمور، ورسول الله ﷺ هو أول أولياء الأمور في هذه الأمة وتتسلسل من بعده الولاية في أئمة المسلمين عليهم السلام ونوابهم.

ب - **المطاوعة**: وحيث لا يمكن الوصول إلى حدٍّ مقبول من التفاهم لتسيير أمور المسلمين... لابد أن يلجأ المؤمنون عندئذ إلى (المطاوعة) عند فشل التفاهم إذا كان ضرر المخالفة ابلغ وأقوى على هذه الأمة من مطاوعة الرأي الآخر، حتى مع الإيمان بخطأ الرأي الآخر وبطلانه.

---

(١) النساء: ٥٩.

وهذه اشق مراحل العمل للمحافظة على وحدة صف المسلمين، والمحافظة على الكيان السياسي الإسلامي العام.

وقد واجه أمير المؤمنين عليه السلام هذا الابتلاء عندما اعرض الناس عن بيعته، وبايعوا أبا بكر خليفة للمسلمين، وقد شهدوا قبل زمن قصير وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بالإمامة والخلافة من بعده في موقع (غدير خم)، وعرفوا موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الإسلام.

ولم يكن عليه السلام يشك في أن الإمامة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تراثه الذي يرثه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باستحقاق ويقين. ولكن لما وجد انه إذا أصر على المطالبة بحقه في إمامة المسلمين فسوف يؤدي إلى انشقاق خطير في صفوف المسلمين وائتلام في كيان الإسلام السياسي... آثر المطاوعة للحالة السياسية القائمة على المطالبة بحقه.

وهذا الأمر واضح لا يمكن التشكيك فيه في سلوك أبي الحسن أمير المؤمنين عليه السلام السياسي.

فلنستمع إليه يحدثنا بهذه القضية السياسية التي آلمته اشد الإيلام، وتسببت في هذا الانشقاق الكبير الذي حصل في تاريخ الإسلام.

وانقل إليكم نصوصا ثلاثة.

النص الأول

«أما والله لقد تقمصها فلان وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت ارتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو اصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الصدر شجى»[1].

---

(١) خطبة رقم ٣ (الشقشقية) من نهج البلاغة.

النص الثاني

«فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا انهم منحّوه عني من بعده. فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم انصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم»[١].

النص الثالث

«لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ووالله لأسلمنَّ ما سلِمَت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلاّ علي خاصة. التماسا لأجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه

---

(١) نهج البلاغة كتاب ٦٢. شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧: ١٥١.

وزبرجه»[١].

إن المطاوعة ليست من القبول والتفهم في شيء... والإمام عليه السلام عندما أعلن المطاوعة وقبل بخلافة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه لم يتنازل عن حقه الذي بقي يؤكده إلى آخر حياته... وإنّما وجد مصلحة الإسلام والمسلمين ومصلحة الكيان السياسي للإسلام أن يطاوع ولاية الخلفاء الثلاثة. فكان عليه السلام يتعاون معهم ويقدم لهم الاستشارة – من موقع الصدق والنصح – وينصح لهم الرأي، وطالما قال الخليفة الثاني (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)[٢].

ويخفى على كثير تفسير التقية ووجهها، فيتصورون أن صاحب التقية يمارس وجهين في عباداته، وجها يؤمن به

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٧٤.

(٢) عمر بن الخطاب: ١٩١، وتذكرة الخواص: ١٣٧ . وأسد الغابة ٢٣/٤، والطبقات لابن سعد ٢ ق ١٠٠/٢ ط لندن ومقتل الحسين (ع) للموفق الخوارزمي ٤٥/١.

ووجها آخر يتظاهر به. وليس الأمر كذلك. بل التقية مطاوعة في السلوك السياسي والعبادي والعقدي (المعاملات) لإبراز الوجه الواحد للامة الإسلامية في السلوك العبادي والسياسي (في قاعدة التقية) وللإعلان عن قبول التعددية في المذهب الفقهي وتقنين التعايش الفقهي ما بين المذاهب الإسلامية وكذلك الأمر في (قاعدة الإلزام والالتزام).

ويدل على ذلك أنّ مشروعية التقية لا تقتصر على حالة الخوف والاضطرار... بل يشمل حالات المداراة من أجل التحابب والتعايش.

ويدل على ذلك أيضا أن العبادة التي يأتي بها المسلم تقية لا تحتاج إلى إعادة أو قضاء في الوقت وخارج الوقت، عند انتفاء عامل التقية. فان العمل قد وقع صحيحا، ولا يحتاج إلى إعادة[١].

---

(١) يعبر علماء الأصول عنه بالحكومة الواقعية. وحكومة دليل على دليل آخر على نحوين حسب اختلاف الدليل الحاكم. فإذا كان الدليل

ومهما يكن من أمر فان قاعدة التقية في الشريعة نحو من المطاوعة في السلوك السياسي والعبادي.

ج - التعاون على البر والتقوى، يقول تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[1].

عن الإمام الصادق: « تواصلوا وتباروا وكونوا اخوة بررة كما أمركم الله عزّوجلّ».

وعنه عليه السلام: «تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وتعاطفوا».

د: التناصر بين المسلمين: وهو من شروط الولاء، ومن وجب ولاؤه من المسلمين تجب نصرته كلما احتاج إلى

الحاكم حكما ظاهريا كانت الحكومة ظاهرية. كما في موارد الجهل والنسيان حيث يجب القضاء بعد انكشاف الخلاف، وإذا كان الدليل الحاكم حكما واقعيا كانت الحكومة واقعية كما في موارد التقية وخوف الضرر والاضطرار فان ارتفاع الأحكام الأولية في هذه الموارد حكم واقعي ثانوي ولذلك يجزي العمل بالتقية المكلف عن الإعادة والقضاء بعد ارتفاع التقية.

(١) المائدة: ٢.

النصرة واستنصر المسلمين يقول ﷺ « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم. ومن سمع رجلاَ ينادي يا للمسلمين فلم يجبهم فليس بمسلم »[١].

هـ: ملازمه جماعة المسلمين: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع في منى بمسجد الخيف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «نضَّر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها فبلغها من لم يبلغها فربّ حامل فقه إلى من هو افقه منه. ثلاث لا يّغِلُّ عليهن قلب امرئ مسلم، إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم عنهم فان دعوتهم محيطة من ورائهم»[٢].

ولزوم جماعة المسلمين وعدم مفارقتهم في السراء والضراء يؤدي إلى توحيد الساحة الإسلامية بالضرورة.

---

(١) مكارم الأخلاق: ١٤٣. ووسائل الشيعة ١٠٨/١١.

(٢) أمالي المفيد: ١١٨ ، بحار الانوار ١٤٨/٢ و١٦٤، ومسند أحمد/مسند ابن مالك، والمستدرك على الصحيحين ٢٨٤/١.

وقـال ﷺ: «المسـلمون إخـوة تتكافـأ دمـاؤهم، ويسـقي بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[1].

(١) مسند أحمد/ مسند علي بن أبي طالب ٤١٩/٢، وسنن البيهقي ٢٨/٨ و٢٩ و٣٠. سنن النسائي ٢٠٨/٥.

أركان الوحدة السبعة

وإذا تحدثنا عن العناصر المقوّمة للوحدة، فلابدَّ أن نتحدّث بإيجاز عن أركان الوحدة.

وحدة الأمة:

وحدة الأمة مقتبسة من قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[١]

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٢].

إن هذه الأمة أمة واحدة، وليست أمَماً شتّى.

فما معنى الأمة الواحدة؟ هذه الوحدة تتضمن مجموعة من الوحدات هُنَّ مقومات الوحدة وأركانها.

وأولى هذه الوحدات هي: وحدة الألوهية والعبودية.

يقول تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾**[٣].

---

(١) المؤمنون: ٥٢.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) التوبة: ٣١.

ووحدة الألوهية ووحدة العبودية هي أهم هذه الوحدات جميعاً وأساسها.

والوحدة الثانية: وحدة الولاية.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[١].

إن الولاء الحق لله تعالى وحده، ولمن يأمر الله تعالى بولائه... وهذا الولاء الأخير يأتي في امتداد الولاء لله تعالى، فهو ليس شيئاً آخر غير الولاء لله... الولاء من مقولة التوحيد، وتوحيد الولاء من مقومات وحدة الأمة... وتعدد الولاءات بمعنى تعدد الأمة بالضرورة.

والوحدة الثالثة: وحدة النسيج الاجتماعي للولاء؛ فإن للولاء بعدان بعد عمودي وبعد أفقي، والبعد العمودي هو الولاء لله ولرسوله ولمن يتولى أمور المسلمين من بعد رسول الله ﷺ من أئمة المسلمين عليهم السلام.

---

(١) المائدة: ٥٥.

والبعد الآخر هو البعد الأفقي للولاء. وهذا الولاء يربط المؤمنين بعضهم ببعض في شبكة ولائية واحدة، لا تنفصم ولا تتفكك ولا تتجزأ. إن الأمة الواحدة يرتبط بعضها ببعض برباط واحد من الولاء، وهذا الرباط يكون بأمر الله تعالى وإذنه... . وهو أيضا من مقولة التوحيد.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾[١].

هم نسيج واحد، على اختلاف لغاتهم وأوطانهم، لا يحجز بعضهم عن بعض لغة ولا إقليم، ووجه الأرض وطن واحد لهم، أينما حلّوا.

و في مقابل ذلك: الذين كفروا بعضهم من بعض، لحمة واحدة في الكفر وعداء المؤمنين، ﴿**وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ**

(١) ـ الأنفال: ٧٢.

كَبِيرٌ﴾[١].

هذان نسيجان وولاءان، منفصلان.

وأما الخطوط الحمراء والخضراء والصفراء. على خرائط الجغرافيا السياسية فهي مما ابتدعه الناس والحكّام في حياتهم، وليس من الولاء في شيء بحكم القرآن يقول تعالى... **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ﴾**، وإنما للحصر، ولا ولاء بعد الولاء لله لأحد إلاّ بأمر الله تعالى.

إذن الأمة واحدة، نسيج واحد من الولاء بالضرورة. **﴿أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾**.

والوحدة الرابعة: وحدة الطاعة السياسية، والطاعة طاعتان طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وأولياء الأمور من بعده... والطاعة الثانية غير الطاعة الأولى، ولذلك ورد ذكر الطاعة في الآية الكريمة مرتين. الطاعة الأولى لله، وهي في التشريع والعبودية والتقوى **﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾**، **﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ**

---

(١) الأنفال: ٧٣.

فَاتَّقُونِ﴾ وهذه الطاعة، لله تعالى، كما قلنا، حتى لو كان التبليغ من رسول الله ﷺ وخلفائه عليهم السلام وهو قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ**﴾. والطاعة الثانية لأولياء الأمور. وهي الطاعة السياسية والإدارية، وهي لأولياء الأمور، وهم رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده وهم أئمة المسلمين.

وأولهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، وهو قوله تعالى ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ**﴾[1].

و وحدة الطاعة تستبطن وحدة القرار، ووحدة النظام السياسي، ووحدة الصف، ووحدة الكلمة والموقف السياسي... وهذه الوحدات هي من مقومات الوحدة الإسلامية وأركانها.

والوحدة الخامسة: وحدة البراءة، وهي الوجه الآخر لوحدة الولاء، ولا تنفك الولاء عن البراءة، إن الولاء، من دون البراءة، أمر يسير. لا تحمّل صاحبها جهداً كبيرا فإذا

---

(١) النساء: ٥٩.

انضمت البراءة إلى الولاء وتكاملت الولاء بالبراءة فلا يتحملها إلا ذو حظ عظيم.

والبراءة هي المفاصلة الكاملة عن أعداء الله وأعداء رسول الله ﷺ وخلفائه عليهم السلام وأمته ودينه الذي جاء به من عند الله. وهذه المفاصلة واحدة، كما أن الولاء واحد، وهي واجبة، كما أن الولاء واجب ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[(١)].

ووحدة البراءة من مقومات وحدة الأمة. وتتجسد هذه الوحدة اليوم في توحيد موقف البراءة السياسي والاقتصادي والعسكري والإعلامي والثقافي من أمريكا وإسرائيل ومن يمتّ إليهما بصلة، من الكيانات والاستكبارية الكافرة التي تعلن العداء لله ولرسوله ﷺ وللإسلام والمسلمين.

---

(١) سورة الكافرون.

إن وحدة الولاء والبراءة، ووحدة الطاعة السياسية توحد موقف الأمة السياسي من الأعداء والأصدقاء، وفي قضاياها السياسية المحورية، وتنقذها من التشتت في الموقف والقرار.

والوحدة السادسة: وحدة المسؤولية والرقابة الشاملة...

عن رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[١].

وعن رسول الله ﷺ: «من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه، فليس بمسلم»[٢].

و عن رسول الله ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»[٣].

ومسؤولية المراقبة الشاملة للمسلمين جميعاً، من أبرز مظاهر وحدة هذه الأمة. وبها تتجسّد وحدة الأمة في الاهتمام والتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

---

(١) الجامع الصغير ٢: ١٥٨.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ١٠٨.

(٣) مكارم الأخلاق: ١٤٣.

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

وهـذه المراقبـة الاجتماعيـة الشـاملة، مراقبـة الكـل للكـل والجميع للجميع، ليس فقط يوّحد هـذه الأمـة، ويجعلهـا أمـة واحدة، وإنما يجعلها أيضا ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾.

الوحدة السابعة: وحدة الحصانة والحرمة. فان كل مسلم حرام على كل مسلم، ماله، ودمه، وعرضه.

عـن رسـول الله ﷺ: «كـل المسـلم علـى المسـلم حـرام، عرضه، وماله، ودمه»[٢].

وعـن رسـول الله ﷺ: « كـل مسـلم علـى مسـلم محـرم ». رواها المحدثون والحفاظ من الفريقين.

وخطـب رسـول الله ﷺ المسـلمين فـي منـى عـام حجـة الوداع وقال:« إن دماءكم وأمـوالكم علـيكم حـرام، كحرمـة

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) مجموعة الورام/ ١٠٢، امالي السيد المرتضى ٦/ ٩٢، مسـند احمـد/ مسند أبي هريرة، السنن الكبرى للبيهقـي، وسـنن الترمـذي، وسـنن ابـن ماجة.

يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم القيامة، ألا هل بلغت؟» رواها ثقاة المحدثين من الفريقين.

وهذه الحرمة الشاملة والحصانة الشاملة الواسعة لكل مسلم على كل مسلم يحصّن المسلمين جميعاً بعضهم من بعض..

عن الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا انبؤكم بالمؤمن؟ المؤمن: من ائتمنه المؤمنون على أموالهم وأمورهم. والمسلم من سلم المسلون من لسانه ويده. والمهاجر من هاجر من السيئات »[١].

هذه سبعة وحدات هي أركان الوحدة في الأمة الإسلامية الواحدة.

---

(١) المحاسن للبرقي: ٢٨٥. وبحار الانوار ١٦٥/٢٢ و١١٢/٢٧ و١٦٨، ووسائل الشيعة ١/٢٩، ومستدرك الوسائل ١٤٥/١٨، ودعائم الاسلام ٢٧/٢، ومسند احمد/ مسند عبد الله بن عباس ٤٦٤/٤، ومسند أبي سعيد الخدري ٢٨٢/٢٢ بحسب ترقيم المكتبة الشاملة، والسنن الكبرى للبيهقي ٨/٥ و١٤٠ و١٥١.

الفهرس